نـافـذة

المسرح ذاك الغائب!

تشخيص لحياة ممتدة، أبدعت فيه فطرة الإنسان، فكان أوديب، وكانت إلكترا، وكانت كل الشخصيات من حكمة وجنون وعشق، ولأن الحياة جميلة غاية الجمال، فقد استعان اليونان القدماء بالآلهة لتكون ضمن الشخصيات التي تؤدي أدواراً! لقداسة المسرح وعظمته ومكانته وجد اليونان الإغريق أن الآلهة من جمال وحب وخصب وحرب يمكن أن تأخذ شيئاً من رحمة المسرح بالإنسان المولع بالجمال، فجاء كيوبيد بسهمه، فعشق وأنجب وعاش، وفي كل يوم يأتي كيوبيد بسهمه، يوجهه إلى أمومة امرأة وتنضح مسامها بحب لا مثيل له ليقول ما يريد، ويرسم ما يريد وينجب أنصاف آلهة يكملون بعده الحب الأبدي للأرض والحياة.. الإغريق قدّسوا امرأة وجسداً وروحاً فجاؤوا بالآلهة لتشاركهم حياة هي المسرح، فأسسوا لشعر وفن وجمال، ولم ينغمسوا في حروب لا تنتهي، ولم يملكوا جبروت الرومان في القضاء على من أرادوا من طبقة العبيد، أو من المحكومين على خشبة المسرح.

يتحرك أمامك أوديب، ويبكي ويتألم، ويحب، ويتوه ويفعل كل ما يحلو له، ويخضع لكل ما يعرض له، والآلهة توجه وتصوب وتشارك، لتجعل الحياة ممتعة، أو لتحولها إلى عبرة تبقى ما بقي الإنسان والحرف، ويدلف أوديب وعقدته لتصبح نموذجاً عند الرومان، ومن ثم عند الأوروبيين في العصور اللاحقة، وكذلك عند العرب، لأنها معاناة الإنسان، ولكل زمان أوديبه، ولكل أدب أوديبه، ولكل توجه سياسي، ولكل مذهب فلسفي أو سياسي، بل لكل شخص أوديبه الذي يكتبه ويملي عليه عقدته أو عقده، فيتبرأ عندما يريد ويلتصق به عندما يشاء، يحمله همومه وآلامه، ويبثه أحلامه ومآسيه بدمعة أو ابتسامة، ويبقى أوديبه معلقاً بأصابع مبدعه الأول سوفوكل.

لم تستطع السينما أن تستوعب تحركات يوربيدس وسوفوكل، وعجزت عن تصوير دواخل يعطيها الجسد الذي يتلوى أمامك، والوجه الذي يبكي بحق بين يديك، وبقي المسرح دعامة الإنسان، لا دعامة فن ولا فكر، وحده المسرح هو الإنسان، وحده القادر على الدخول في الثنايا الخفية وفي الأثناء الحرجة ليظهر لك عريك وعري روحك أمام ذاتك الملتهبة بألم اللحظة المدهشة- وحده المسرح يريد حياتك في أصابع ترص وهي تتألم أو تنتشي، وتجعلك روحاً متوقدة تترقب أن ينهار القبح لتستشف ما وراءه من جمال تحت غلالة تريد أن تغمرك، وتطلبك للغمر، تنطمر فيها لكنها تكون على مسرح عال مترف لا تحملك قدماك على الوصول إليه، وتمنعك قداستك من أن تصعد درجة واحدة إليه.

وحده المسرح له دائرته وطباشيره وأمومته التي لم تنجب لكنها كانت قادرة على المنح في تفاصيل التلافيف، وبقيت الدائرة وطباشيرها رمزاً لأمومة سامية سامقة لم تصل إليها أمومة أو عبارة لأنها نحتت من رحم المسرح على الخشبة، على مرأى من الناس جميعاً، وهي تطلب بفجائعية التعلق أن يبقى الوليد الذي لم تنجبه ولو كان بعيداً عنها.

وحده فطرة... لا يحتاج تقانة، ولا يستلزم أجهزة، ولا يرتبط بما حوله، فهو عالم مكتف بذاته ولذاته، عباءة وملاءة، وصدق شعور، وتماه في اللحظة، وصوت ينسرب في أعماق الخشب قبل أن ينزل باتجاه المشاهد، ويلتف تحت غلالة غير مرئية ليتعطر بمسام ينز عرقاً عطراً، ويخرج لينتشر في المدى الأرحب والفضاء البعيد حيث تتعلق العينات بما هو فوق دون تفسير لهذا الذي يسكن القبة العليا..

وحده الذي لا يحضر أي احتفالية تقام له في أي مكان، لأنه كفانية العرب التي اغتنت بجمالها عن الزينة، لا يحب المهرجان، ولا يطرب لاحتفالية مهما قيل فيها، لأنك عندما تمتدحه، فهذا يعني أنك تجهله وتتوسل إليه أن يبقى أو يعود، أو على الأقل أن يكشف لك سره، ووحده لا يعطي مفاتيحه لأحد، لأنه مصون يريد منك اكتشافه، يريدك أن تسبر غوره لتصل إلى سره بذاتك ولذاتك، وهو الذي لا يقبل معلماً، ولا يردد عبارة سبقت قبل لحظة من زمن، يفتح لك ذاته عندما يكتشف أنك في لحظة تطهر وعبادة على خشبات يسمح لها أن توصل صوتك إلى المدى المطلق في القبة.

أمن عبث عاش اليونان كل العظمة على خشبات أثينا؟

أمن عبث عجز الرومان لأنهم اختاروا الحجر؟

تطوف علينا آلهة الإغريق توزع علينا الأدوار، فإن أصابنا سهم المسرح كما سهم كيوبيد سمت أنفسنا وارتقت، وإن لم يصب رتعنا في عالم دوني لا ينظر إلى المطلق البعيد، ولا يسرع في الآفاق الطهرية.

أعيدوا للمسرح الغائب قداسة طقسه، ودعوا ما تبقى لمعبد لا يهجره النور، ولا يغادره بخور صلوات غير محدودة العدد أو الزمان أو المكان.

إسماعيل مروة

أول عمل يصور في حلب بعد تحريرها من دنس الإرهاب

«روزنا».. تمسك المواطن السوري بالأرض رغم المآسي والمحن والويلات

لقطات من العمل

وائل العدس

أنهى المخرج عارف الطويل تصوير كامل مشاهد مسلسله «روزنا» للكاتب جورج عربجي وإنتاج المؤسسة العامة للإنتاج التلفزيوني والإذاعي على أن يكون العمل جاهزاً للعرض في شهر رمضان المبارك المقبل.

ويعد العمل عودة إلى الدراما الحلبية الرائدة التي قدمت أعمالاً خالدة مثل «خان الحرير» و«سيرة آل جلالي» و«كوم الحجر» و«الثريا» و«باب الحديد»، وهو أول عمل يصور في مدينة أبي فراس الحمداني بعدما حررها الجيش العربي السوري من دنس الإرهاب.

أما عنوان العمل «روزنا» فمأخوذ من الأغنية التراثية التي تحكي عن سفينة تركية تدعى «روزنا» حاولت إغراق سوق لبنان بالبضائع والمحاصيل الزراعية لتدمير السوق هناك، فتدخل التجار الحلبيون واشتروا المحاصيل من لبنان وأنقذوا السوق وأفشلوا المخطط التركي العدواني حينها.

ويؤدي أدوار البطولة كل من بسام كوسا وجيانا عيد وأنطوانيت نجيب ونديم تحسين بك وأندريه إسكاف وعامر علي وتوفيق إسكندر وتولاي هارون وحسام تحسين بيك وسمر عبد العزيز وقاسم ملحو وناصر ورديناي وإيمان الغوري وغسان مكانسي ورضوان سالم وغسان ذهبي وروعة السعدي وعلي كريم ورشا رستم وأحمد خليفة وآخرين.

من الواقع

العمل درامي اجتماعي بخط وطني واضح يرصد حالة اجتماعية وسط مدينة حاول الإرهاب تدميرها وطمس معالمها وهو يستمد أحداثه من الواقع الذي عاشه أهالي حلب خلال سنوات الحرب الإرهابية عليهم.

واعتمد الكاتب في صياغة حكايته على الصدق في التعاطي مع ذائقة المشاهد مبتعداً عن الشعارات وفرض الرأي اللذين ينأى عنهما المشاهد، حيث يحمل العمل مقولة «ارحموا عزيز قوم ذل».

وفي زمن الحرب هناك حكايات كثيرة من الواقع، ومهمة الدراما لا تقتصر على نشر تلك الحكايات لتستجدي تعاطف المشاهد لكن واجبها هو الدعم النفسي والتوعوي وإيصال أمل صادق عبر قصة وشخوص حقيقيين من صلب المجتمع لا يتم استهجانها.

وبيّن أصحاب العمل أن ما تعرضت له حلب من استهداف وتدمير وحصار إرهابي فاق كل وصف ولم تشهده مدينة أخرى ومن ثم كان لزاماً وواجباً علينا كفنانين أن نبرز هذا الصمود ونقول شكراً لحلب وأهلها التي ستظل كطائر الفينيق الذي ينبعث من تحت الرماد إيذاناً بالنصر والولادة الجديدة.

كما يحوي العمل قصص حب وصراع بين شابين على حب فتاة، كما يضيء على نماذج من الذين استغلوا الحرب وتاجروا وجمعوا الأموال تحت شعارات براقة.

من دمشق إلى حلب

وتدور أحداث العمل حول أسرة من مدينة حلب كانت مقتدرة ولكن ظروف الحرب تضطرها للتنقل إلى دمشق وبدء حياة جديدة هناك وفي ظل ظروف الحرب والأزمة يتعرض كل فرد من أفرادها لمشاكل وحكايات مختلفة تضعهم أمام امتحانات صعبة.

وتتمحور قصة العمل حول أسرة حلبية مكونة من الأب «وفا» وزوجته وابنه وابنته، ويملك رب الأسرة منشأة صناعية تتعرض للدمار والنهب والسرقة من الإرهابيين، كما يدخل الابن الوحيد في غيبوبة جراء استهدافه من قناص إرهابي وهو في طريقه إلى دمشق ما يضطر العائلة للانتقال إلى دمشق لمتابعة الحالة الصحية لابنهم وعلاجه، وفي هذه الأثناء يتعرض منزلهم للخراب بسبب قذائف الإرهاب وهو ما يؤدي إلى فقدان رب الأسرة لكل ما يملك ويعود لنقطة الصفر ويضطر للعمل في عدة مهن لتأمين مصدر رزق لأسرته.

بانتقال العائلة للعاصمة تعيش العديد من الوقائع وتدور الأحداث التي تؤكد أن المواطن السوري رغم المآسي والمحن والويلات التي تعرض لها ظل متمسكاً بأرضه وهو ما يجسد صورة بسيطة من صور الصمود الشعبي الوطني خلال سنوات الحرب التي تعرض لها الوطن.

وحسب القائمين على العمل فإن عائلة «وفا» (بسام كوسا) ترمز إلى جزء من أهالي حلب، من شتى اختلافاتهم، وأن لكل فرد فيها رمزاً له أبعاده الدرامية، كما ترمز شخصية «وفا» في شكلٍ أو آخر إلى قلعة حلب.

الشخصيات

يجسد قاسم ملحو شخصية «بكري» وهو عامل يعمل عند «وفا» يقوم بإيصال حاجاته إلى المنزل، ويلازمه في المعمل الذي يملكه، يفتح له باب السيارة، ويحمل حقيبته، وعندما يوزع مساعدات على الفقراء، يكون ذلك من طريق «بكري». بعدها نرى أن الأشياء تغيرت، أصبح لبكري شأن كبير ولوفا مأساة قاسية، وفي مشهد «ماستر» يلتقي بكري ووفا مصادفة، ما يخلق شيئاً غاية في الدقة والتفصيل والقسوة، فيجلسان مع بعضهما ويتكلمان في جوانب ليست لها علاقة بالسياسة بل يكون التركيز على الجانب الإنساني».

ويقدم ميلاد يوسف شخصية «أنور» وهو من الشباب السوريين الذين يعيشون فراغاً عاطفياً وحياتياً. الحياة لا تعنيه كثيراً نتيجة الأزمات والحرب، ما يفقده الكثير من عناصر التمسك بالحياة إلى أن يتعرف إلى «ديمة» (ندين تحسين بك) ابنة «وفا»، فتبدأ إعادة الحياة في نفسه نتيجة هذا الحب». وهنا نقطة التحول في الشخصية، وهي تعني دعوة إلى البحث عن تفاصيل صغيرة في الحياة لإعادة الأمل، وخاصة أن الظروف الحالية تخفي الأمل عن كثير من الأشخاص.

وتطل تولاي هارون بشخصية «عفاف» وإن كانت «خادمة» غير أن المشاهد سيتنبّه إلى أنها لم تكن كذلك طوال حياتها وإنما أرغمتها قسوة الحياة على هذا العمل.

تظهر بمظهر جيد وأنيق، وتتميز بالطيبة والصدق في تعاملها مع الآخرين. ومع تقدم مجريات العمل ستجد نفسها تعمل عند «فرح» التي ستعاني منها ومن طريقة تعاملها وردات فعلها السلبية كثيراً لكنها تكون مضطرة للتحمل أمام عدم شعور زوجها بمسؤولية أسرته ليتغير الوضع بعدما تحمل بجنين.

بدوره فإن توفيق إسكندر يقدم من خلال شخصية تظهر في المقابلات التلفزيونية على أنها ذاك الوطني الحريص على البلد ولكن نكتشف وجهه الآخر، وكيف يستغل الأزمة لمصالحه المادية الجشعة.

وتؤدي سمر عبد العزيز شخصية «داليا»، التي تكون صلة الوصل بين ماضي حصل وآتٍ غير متوقع، وستبين كيف أن الفيسبوك وعالم الإنترنت بشكل عام سيكون بوصلة للقاء من نحب.

أما هبة زهرة فتجسد شخصية «رزان» ابنة «وفا» وهي فتاة جميلة، طيبة، ذكية، صاحبة مبدأ، لديها مسؤولية كبيرة تجاه نفسها وعائلتها. تضطر إلى ترك جامعتها في حلب (أدب فرنسي)، وتبدأ البحث عن عمل لمساعدة أهلها إضافة إلى تعلمها اللغة الإنكليزية لكونها مطلوبة. علاقتها الخاصة بوالدها أشبه بعلاقة صداقة، أكثر مما هي علاقة أب وابنته التي تتمثل به قدوة لها. وفي حياتها شاب ترتبط به بحب قديم وصادق، لديها أمل كبير، ولكن ظروف الحياة تجعلها تتحمل الكثير من المشاق والمتاعب التي لم تكن في الحسبان، في مواجهة قصة حبها في وضع أشبه بالتمزق بينهما.

ويؤدي أندريه سكاف شخصية «هشام» وهو رجل يدمن الكحول غير أنه يتسم بالظرافة.

أما ناصر ورديناي فيظهر بدور شقيق «وفا»، ورغم قلة المشاهد إلا أنه من الأدوار المؤثرة وخصوصاً مشهد لقائه مع شقيقه بعد ٦ سنوات من الفراق.

> ما تعرضت له حلب من استهداف وتدمير وحصار فاق كل وصف

كاتب ومخرج العمل

الصوت الأكاديمي المتمرس في معاهد الموسيقا السورية

شذى حايك: الانتشار والشهرة ليسا فناً بل هما الجزء من أثر الفن

أحمد محمد السّح

حين تمر بهذا الصوت لا يمكن أن تقف أمام حسنه ومرونته، هو صوت جميل بحق، لكن الأصوات الجميلة باتت كثيرة اليوم، فالمميز عند صوت شذى حايك هو ثقافتها الموسيقية، فقد درست في معهد إعداد المدرسين الموسيقيين ومن ثم في المعهد العالي للموسيقا، ثم درست ودرست الصولفيج في معهد صلحي الوادي، لتتكون لديها ثقافة موسيقية واسعة، وفي الحوار معها ستكتشف من حديثها ولغتها أنها ذات ثقافة كبيرة تنعكس في اختياراتها للأغنية وهي تغني الشعر وتتعامل مع خيرة الموسيقيين، من أغنياتها «هذي الشآم» للموسيقار سهيل عرفة، ومن أغانيها الخاصة «حبيبي تعا»، هي من موسيقاها، «دعني» مع باسل داوود.. الفنانة شذى حايك صوت سوري يقيم اليوم في هولندا ويغني للوطن بحب وتفاؤل ..

• حين نسمع أعمالك عبر الإنترنت سنجد الكثير من الأغنيات والمقاطع والحفلات، لفنانة أكاديمية، الموسيقية والعلامات الفارقة في خطاها، فماذا توضحين للجمهور؟

بداية... يبدو طريق الفن شاقاً للغاية، يقوم الفن حالياً على التسويق والإشهار التسويقي المحترف وعموماً أنا كطالبة في الغناء الأكاديمي، حينما تحين لي فرصة عمل فني أقوم باستغلالها بما أملك من موهبة واستطاعة. أحاول أن أرسم مشروعاً واضحاً يخصني، ولا أستطيع العمل في بيئة فنية انفعالية وصاخبة... بإمكانك القول البطء هو سمة الفن الذي أراه.

• يتميز صوتك بصفاء ومهارة الأداء، وتشكلين جزءاً من جيل نشأ بثقافة موسيقية والتزام فني عال، بينما اتجهت الأضواء إلى أشخاص آخرين، ماذا تعني لك الجماهيرية والانتشار والشهرة؟

الجماهيرية ذروة دائمة وأنا لا أحب الجماهيرية بقدر ما أحب أن أكون موجودة ببصمة ما.

الانتشار والشهرة ليسا فناً، بل هما الجزء من أثر الفن. هذا لا يعني أن الجماهيرية والانتشار لا يناسباننني لكن الذروة التي أسكن بها تكون مع بعض المحبين والحفلات التي أقوم بها في هولندا كافية لترضي موهبتي التي أحب والفن الذي أؤمن به.

• أنت مغتربة الآن وتقومين بخطوات لإيصال صوتك، خارج البلاد، هل الأغنية السورية تعاني في الخارج كما في الداخل، وما نظرتك للحلول لمشكلة الأغنية السورية التي صارت مشكلة «عريقة»؟

البيئة الأوروبية تعنى بالثقافات بشكل لا متناه، فقد أغني سوري أو مصري أو لبناني وربما هولندي ولكني أحرص على تقديم التراث السوري والفن السوري في كل حفل أقدمه.. والجميل أن ثقافتك تتمازج بسهولة في الخارج فالجمهور منفتح ويهتم وينصت باهتمام لموسيقا الشعوب الأخرى.

إنه عالم مختلف تماماً، يدرك أن الموسيقا بحث في اللا متناهي، بحث في سياق الأذن البشرية لتتواصل.

المشكلة في سورية أنه لا قطاع خاصاً ولا تلفزيونات خاصة تدعم رؤية فنية مفتوحة، التلفزيون السوري الرسمي مثلاً لا يأخذ دوراً كبيراً في دعم الأكاديميين وتسويق الموسيقا بشكل جيد في الحفلات الرسمية وحتى الحفلات التي يتم نقلها يستقبلون فيها فنانين شعبيين، حيث أُخذ الفن السوري على واجهة واحدة وريتم صاخب وحَاد من دون الاعتناء بالذائقة الروحية للإنسان، لن يكون هناك وجود للأغنية السورية إذا لم تتغير هذه المؤسسات.

• في اختيارات أغنياتك تبدو المعايير الفنية التي تتبعينها عالية، أي بمعنى آخر مثقفة، كيف تستطيع شذى حايك أن تمزج هذه المعايير مع معيار سوق الإنتاج الطاغي حالياً؟

هذا السؤال يجيب عن كثير من الأسئلة. فاختيار الأغاني هو دليل على قيمة الفن لدى الفنان، فأنا أختار أغنياتي بما يتناسب مع كياني الإنساني والفني، فكما أجبت في سؤال سابق عن مفهوم الذروة والجماهيرية فأنا لا أريد الوصول إلى جماهيرية مادية، أنا أحاول عكس الحس الفني الذي أمتلكه داخل أطر فنية راقية ولطيفة تصل إلى القلب والروح بوصفها فناً، من هنا يبدو الاختيار صعباً.

• ما الفارق في إحساسك كمغنية بين استعادة أغنية لفنان، وبين الأغنية الخاصة بك؟

بداية كل ما هو فني هو متاح، الفن عبارة عن لا متناه يمكن استخدامه والإضافة له، كما في الأدب والشعر تعاد الأفكار وتتوالد، أما عن الأغنية الخاصة فهي التجدد والخلق بمزيج من عدة عوامل لإنتاج المادة الفنية الراقية.

• في عالم سوق الإنتاج نسمع أن الشركات اليوم تشتري الكلام واللحن وتقدمه للفنان ليضع صوته، فيكون رأيه آخر الآراء، ما موقفك من هذه العملية الانتاجية؟

لست مع أي احتكار أو تحويل الفن والفنان إلى عملية تجارية بحتة تسعى للربح، بعيداً عن المحتوى والهدف لهذا الفن.

• كيف تحرسين صوتك وتحافظين عليه؟

الحبال الصوتية مثلها مثل أي عضلة تحتاج الرياضة والاسترخاء والغذاء الصحي والنوم الكافي، أحاول المحافظة على التمرين والاستماع للموسيقا بشكل مستمر.

• مسيرتك الموسيقية الأكاديمية متنوعة في تعلم العزف والغناء، وشملت أسماء كبيرة، كما كنت مدرّسة للصولفيج.. كيف توجزين لنا هذه المسَيرة؟

بالنسبة لمسيرتي الفنية... من طالبة في معهد إعداد المدرسين للموسيقا ثم طالبة في المعهد العالي للموسيقا ومدرّسة لمادة الصولفيج في معهد صلحي الوادي للموسيقا. والكثير من الحفلات، فكل مرحلة في حياتي الفنية كطالبة غناء ومدرّسة لها أهميتها وأثرها في مسيرتي، تعلمت الكثير منها وأضافت لي الكثير من الخبرة، وأريد توجيه التحية إلى روح معلمي فيكتور بابينكو.

• ما طموح شذى الفني على المستوى البعيد؟ وما إمكانيات التحقيق القريبة المدى، التي سنشهدها ونسمعها في المدى المنظور؟

حالياً هناك الكثير من المشاريع قيد الدراسة، أسعى الآن لاختيار مجموعة من الأغنيات لضمها في cd خاص بي والبحث عن شركة إنتاج إضافة إلى الكثير من الحفلات بمشاركة فرق هولندية وعربية.